

صورة الدين على مرآة القرآن



«أيُّها القارئ الكريم دعنا نرى صورة الدِّين(*) على مرآة القرآن الكريم.

- أوّلاً: أوصاف القرآن وتسمياته للدِّين:

ملاحظة: أيّ تسمية أو وصف للدِّين في القرآن الكريم لا تؤخذ بمعزل عن التسميات والأوصاف الأخرى، فالدِّين هو كل ما وصفه به القرآن، وإن كانت بعض التسميات كلّية شاملة مثل: "الإسلام". وفيما يلي استعراض سريع لتلك الأوصاف الحاملات لدلالات كبيرة وغنيّة.

1- (الدِّين = الإسلام):

يقول تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...) (آل عمران/ 19).

الإسلام: هو الإقرار والتصديق والطاعة، وخصاله الانقياد والاستسلام لأوامر الله ونواهيه التي جاء بها النبي (ص) من عنده تعالى.

2- (الدِّين = الصراط المستقيم):

يقول تعالى: (قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَدِيمًا مَلَكًا - إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (الأنعام / 161).

الصراط المستقيم: خط الإيمان والمنهج الإلهي الذي يمثله الخضوع لأوامر الله ونواهيه سواء في العقيدة أو الشريعة أو الأخلاق، وهو الإسلام، وهو طريق الأنبياء الموصل إلى الجنة.. إنّه "خط السير".. إنّه (خارطة الطريق).

3- (الدِّين = الحق):

قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ...) (التوبة / 33).

دين الحق، أي الدين المنسوب إلى الحق، أي غايته الحق، فما دام هو من عند الله الحق فهو حق.

4- (الدِّين = دين الله):

قال تعالى: (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) (آل عمران / 83).

الإسلام دين كل الكائنات السماوية والأرضية التي لا تصلح ولا تستقيم ولا تسعد إلا به، ولا تجرّ مخالفته إلا الانحطاط والتخلّف والتّـيـه والخسران العظيم، فكيف نطلب ما يُضُرُّ ويُفسد، ونترك ما يَنفَع ويُسعد؟!

5- (الدِّينُ الْقِيَامُ)!!

يقول تعالى: (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيُّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (الروم/ 30).

القيم: من القيمة وهي الشيء النفيس، والقيِّم من القيمومة، أي هو المسؤول والمشرف والمهيمن على مَنْ هم دونه، فالأب قيِّم العائلة، والدِّين الإسلامي قيِّم الأديان كلّها، وهو الذي يقوم على إدارة شؤون الحياة والإنسان بجميع مرافقها.

6- (دين اليُسْر)!!

قال تعالى: (وَمَا جَعَلْهُ إِلَّا يَسْرًا لِّكُم فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (الحج / 78).

الحرج: المشقّة، و[] يريدُ بعباده اليُسْر لا التشديد والتضييق، إلا إذا كان في التضييق والتشديد مصلحة عامّة أو خاصّة، وهو هنا رحمة ليس ضرراً.

7- (الدِّينُ الْكَامِلُ)!!

قال تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (المائدة / 3).

كمال الدِّين، وتَمَامُ الذِّعْمَةِ، والرِّضَا بِالإِسْلَامِ دِينًا، كَلَّهَا مَوْشَرَاتٍ عَلَى عِظْمَةِ الدِّينِ الإِسْلَامِيِّ الَّذِي يَغْطِي مَسَاحَةَ الحَيَاةِ كُلِّهَا، وَيَقُودُ الحَيَاةَ كُلَّهَا إِلَى الكَمَالِ وَالدِّعْمِ وَالسَّلَامِ، فَلَيْسَ هُنَاكَ رِفَاعٌ أَوْ شَيْءٌ لَمْ يَقُلْ فِيهِ الإِسْلَامُ أَوْ الدِّينُ كَمَلَّهُ.

- ثَانِيًا: مُسْتَلْزَمَاتٌ وَمُتَطَلِّبَاتٌ هَذَا الدِّينِ:

دَعَا القُرْآنَ الكَرِيمَ إِلَى الإِهْتِمَامِ بِالدِّينِ مِنْ حَيْثُ:

1- إِقَامَةُ الوَجْهِ لَهُ:

قَالَ تَعَالَى: (وَإِنَّمَا أَقِيمُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يونس/ 105).

إِقَامَةُ الوَجْهِ لِلدِّينِ = الإِقْبَالُ عَلَيْهِ بِالتَّوَجُّهِ بِبَنَاتٍ وَمِنْ غَيْرِ انْحِرَافٍ.

فَالدِّينُ هُوَ نَقْطَةُ الِهْدَفِ الَّتِي تَدَّجُّهُ الأَنْظَارُ كُلُّهَا إِلَيْهَا، وَعِنْدَمَا تَتَطَلَّعُ الوَجْهُ إِلَى الدِّينِ وَتَتَحَرَّكُ الخَطَى كُلُّهَا بِاتِّجَاهِهِ: فِكْرًا وَمَشَاعِرًا وَسُلُوكًا، فَعِنْدَهَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ أَنَّهَا مُتَدَيِّبَةٌ.

2- إِقَامَتُهُ:

(أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) (الشورى/ 13).

يُوصَفُ الإِسْلَامُ بِأَنََّّهُ "عُصَاةُ الشَّرَائِعِ" النَّبَوِيَّةِ السَّابِقَةِ؛ لِأَنَّ دَعْوَتَهُ لِلتَّوْحِيدِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) لَيْسَتْ جَدِيدَةً، بَلْ هِيَ دَعْوَةُ جَمِيعِ الأنْبِيَاءِ، وَإِقَامَةُ الدِّينِ تَعْنِي تَحْرِيكَه بِنَشَاطِهِ وَفَاعِلِيَّتِهِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَأَنَّ آفَةَ الدِّينِ التَّفَرُّقَةُ؛ لِأَنَّه أَكْبَرُ عَوَامِلِ الوَحْدَةِ، فَإِذَا انْقَطَعَ حَبْلُ الدِّينِ فَلَا يَبْقَى هُنَاكَ مَا يَرْبِطُ النَّاسَ وَيَشْدُّ أَوَاصِرَهُمْ بِقُوَّةِ كَقُوَّتِهِ.

3- الإخلاص فيه :

(وَأَدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) (الأعراف/ 29).

لا عبودية إلا لله، ولا طاعة ولا خضوع ولا انقياد ولا استسلام أو تسليم إلا له.

"دينُ الفِطْرَةِ":

يقول تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَیْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (الروم/ 30).

الدِّين ليس فكرة خارجية تدخل إلى الدِّين وتردُّ إليه من هنا وهناك، بل هو حالة عميقة متجذِّرة في نفس الإنسان، أي مركَّبة فيه منذ أن يُخلق، ولذلك فالدِّين ينبعث من ذات الإنسان ويتفاعل في عقله ليتحوَّل إلى فكرٍ وشعورٍ ومعاناةٍ والتزام.

هو في أصل الخلقة وليس شيئاً طارئاً عليها.

"الدِّين الخالص":

قال تعالى: (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) (الزمر/ 3).

الدِّين الخالص أي الصافي من كل الشوائب، والرافض لتعدُّد الأرباب والآلهة، والأهواء والشهوات والتصورات الوهميَّة، والوساطات والشفاعات والقرباب إلا لمن ارتضى، فإنَّ تعالى وحده لا شريك له، ولا معبودٍ سواه، وحتى طاعة الأنبياء هي طاعة له، فليس هناك

"لا إكراه في الدِّين":

يقول تعالى: (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدَ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا) (البقرة/ 256).

الدِّين قناعة فكرية داخلية، فلا يُفرض فرضاً، وإنما هو كماء ينبوع إذا وجد الفرصة السانحة تدفق،.. فبعدهما يقدِّم البراهين الصادقة والواضحة على أنَّهُ دين الحق، وأنَّ سواه الكفر والباطل والضلال، والتفاهة، فإنَّ العقل ينجذب إليه بلا إكراه، وهدف الجهاد في الإسلام ليس إكراه الناس على الدِّين، بل دعوتهم للدِّين على اعتبار أنَّ الدين حق، وأنَّ مَنْ يبتغي غيره لن يُقبل منه. وكل طاعة ما لم تكن متفرِّعة أو منبعثة عن هذه الطاعة فهي معصية، وهي طاعة أخطأت سيرها واتجاهها وهدفها.

4- التفقُّه فيه:

قال تعالى: (وَمَا كَانَ الِئْمُؤُْمِنُونَ لِيَنذِرُوا كَأَفْوَةً فَلَوْ لَا نَفَرَ مِن كُلِّ شَرِّ قَرْبَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَذَفَّقُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (التوبة/ 122).

النفير = الجهاد، والقرآن هنا يدعو إلى المعرفة الدينية وضرورة نشر الوعي الديني، فلا يصحَّ أن تخرج الأمة كلها للجهاد ولا يبقى مَنْ يفقُّه الناس في دينهم، إلا في ظروف خاصة تستوجب النفير العام.

التفقُّه في الدِّين = معرفة مفاهيمه وأحكامه، ممَّا يعني وجود جماعة متخصصة في أمور العقيدة والشريعة يُسمَّون (الفقهاء) يرجع الناس إليهم في معرفة أمور دينهم.

5- الذُّمُّ فيه:

قال تعالى: (وَإِنَّ اسْتَأْذَنَ صَرْوَكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ الذَّمُّ) (الأنفال/ 72).

يقول الدِّين رافعاً عقيدته: "مَنْ سَمِعَ مَنَادِيًا يُنَادِي: يَا لِلْمُسْلِمِينَ فَلَمْ يُجِيبْهُ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ".

المسلم يقع في أزمة.. يقع في محنة في محنة فيطلب الغوث والعون والنصرة، وعلى المسلمين أن يُجيبوه بحسب إمكاناتهم وإلا أثموا، فنصرُ المتديِّنين من الدِّين.

6- رفض استغلاله:

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبِاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (التوبة/ 34).

ليس □ وكلاءٌ، وليس ظلٌّ على الأرض، ولا وسطاءٌ مُنتدَبون، فحتَّى الأنبياء لم يجعل □ لرجلٍ من قلوبين من جوفه، أي لم يجعل له ولاءين: "ولاء □ وولاء لغير □، فهذا شرك، و□ يرفض الشُّرك، ولذلك قال تعالى: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) (الكافرون/ 6)، أي أنَّهُ يرفض اقتراح المشركين بأن يكون هناك (دينان) أو (عبادتان) بل هو دين واحد فقط لا غير.. وعبادة واحدة ليس لها ثانٍ، وكلاهما □ تعالى وحده.

(لا غلوٌّ في الدِّين):

قال تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عِلْمَ اللَّهِ بِإِلَهِ الْخَافِ) (النساء/ 171).

الغلوُّ: مجاوزة الحدِّ. فلا غلوٌّ (في الاعتقادات) ولا غلوٌّ في (الممارسات) بل الدِّين توجيه للإنسان

لكي يسير في خطّ الحقّ ليحصل على الخير من خلاله .

لذلك يمكنك أن تقول بثقة واطمئنان: إنّ كل إفراط وتطرّف في الدّين هو ليس من الدّين في شيء .

وفي سبب نزول الآيات:

(طه * مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى) (طه / 2-1) .

يقول المفسّرون نقلًا عن الروايات أنّ النبي (ص) كان يعبد الله كثيرًا فيُكثر القيام والوقوف في العبادة حتى تورّمت قدماه، فأمره الله أن لا يُحمّل نفسه كل هذا التعب والمشقة، وقال له لا تجهد نفسك إلى هذا الحدّ .

ولاحقًا، قال (ص) في توجيه الأُمَّة إلى نهج الاعتدال: "إنّ هذا الدّين متين فأوغلّ (ادخل) فيه برفقٍ، فإنّ المنبتّ (التائه الذي يواصل سيره) لا ظهرًا أبقى (أي يتعب راحلته ودابّته) ولا أرضًا قطع (أي لم يصل إلى هدفه)!! وهذا هو منهج الاعتدال والتوازن في التربية الدينيّة .

هم عبادُ الله الذين يطيعونه ويعملون بها أمرهم به، وليس بين الله وبين أحد قرابة، حتى أنّ النبي (ص) كان يُخاطب عمّته (صفيّة) وابنته (فاطمة) وبني هاشم أنّهم لا يُغني عنهم من الله شيئًا، ويطلب منهم أن يعملوا في مكانتهم كما هو عامل. ▶

.....

الهامش:

(*) الدّين: في معاجم اللغة وقواميسها يعني: الشريعة، أو الطاعة والإنقياد، يُقال: يُدين بدين معيّن، أي يطيعه ويعبده، والدّين: ما التزمه الإنسان، ومنه "كما تُدين تُدان"، ومعناه الجزاء، فيوم الدّين: يوم الجزاء والحساب والحكم. وبكلمة مختصرة، فالدّين: الخضوع والانقياد لبرنامج أو مقرّرات معيّنّة، ومن مصاديقه: الطاقة، والتعبّد، والمحكوميّة والتسليم.

المصدر: كتاب حياة سالحة.. هذا هو الدين!!